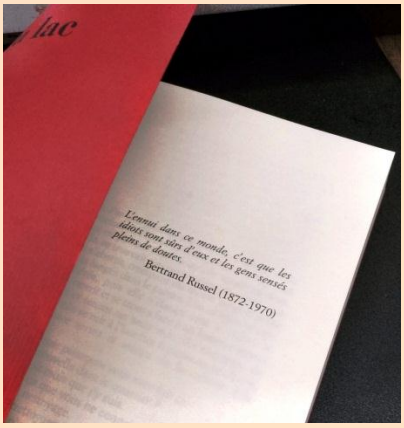

الدهاليز الخلفية

قد يكون هذا سخيفاً ومن النوع الذي لا ينبغي أن يقال، ولكني سأقوله.. اممم.. هل كتبت شيئاً قط ووجدت نفسك أكبر معجبٍ به؟ وليس هذا فقط بل وتزداد قناعة بما فيه عبر السنين؟

كتبت يوماً مقالاً ساخراً بعنوان "دادا بابا" لم أحب أن أقرأ لي شيئاً قط كما أحببت قراءته.. ولا أعلم أأحببته لأن فيه أشياء من زمن الطفولة، أم لأني أؤمن بما فيه..

في ذلك المقال أفترض أن المشاغبين من المتخلفين دراسياً هم من ينتهي بهم المطاف إلى الإمساك بزمام كثيرٍ من الأمور مستقبلاً، بما يؤدي إلى استشراء الفساد والحياد عن الطريق المستقيم. وبما أن الشريحة الأكبر هم من الصامتين، فإن المفسدين ينتصرون دائماً، من منطلق أن الفعل أقوى من اللا فعل..

والآن، وبعد هذه المدة، لا يزيدني كل ما يحدث هذه الأيام من فوضى إلا قناعةً بهذه الفكرة. الغريب في الأمر أن قيادة أصحاب الفعل الأعوج للمجتمعات وأحيانا للشعوب، ليست جديدة.

قبل نشر ترجمة "أسطورة الإنسان والبحيرة" إلى الفرنسية، أخبرني الدكتور عبد الودود العمراني مدير مركز الترجمة بوزارة الثقافة أن دار النشر الفرنسية تريد وضع كلمةٍ مأثورة تتماشى مع المضمون في الصفحة الأولى، وترك لي تلطّفاً أن أختار الكلمة التي أجدها مناسبةً لهذه الرواية بصفتي كاتبتها.

لست من النوع الذي يختزن الأقوال المأثورة، لذا فقد بحثت قليلاً، وذهلت إذ وجدت قولاً لفيلسوف بريطانيّ يُدعى بيرتراند رَسل (١٨٧٢– ١٩٧٠) لا يناسب الرواية فحسب بل و"دادا

بابا" أيضاً. يقول رسل: "السبب الأساسي لمشاكل العالم هو أن الأغبياء متيقنون بينما الأذكياء يملؤهم الشك".

يا الله، منذ مائة عام والعالم يسيّره هؤلاء؟

يبدو أننا مهما عدنا بالزمن إلى الوراء فسنجد أن أولئك هم من يسيّرون العالم عبر تلك الدهاليز الخلفية..

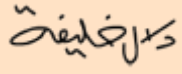

نشر بالملحق الثقافي لجريدة الشرق القطرية بتاريخ ٢٠١٤/٣/٢٣م

ملاحظة: مقال "دادا بابا" من المقالات التي أعدت نشرها بهذا الموقع